الاستنزاف، ثم خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

ورداً على الحملة التي شنت ضده، امر عبدالناصر باغلاق اذاعة صوت فلسطين، وصوت العاصفة، اللذين يبثان من القاهرة. ويذكر محمد حسنين هيكل ان عبدالناصر طلب منه التوسط لاقناع المقاومة بالحد من حملتها عليه، ولكن دون جدوى، مما اضطره الى اغلاق الاذاعة في آب (اغسطس) ١٩٧٠[٦٥].

وتوفى عبدالناصر في وقت كانت الثورة الفلسطينية تمر بأحلك ساعاتها، حيث كانت تواجه مؤامرة التصفية في الاردن. وتوفى والعلاقة بينه وبين الثورة متوترة.

وحول «فكر» عبدالناصر، فاننا نحيل على احد الناصريين، وهو غالي شكري، الذي يقول حول تصريحات وبيانات عبدالناصر بصورة عامة: «ان عبدالناصر في هذه ' البيانات ' ليس رجلاً حرفته الفكر، وتنطبق عليه، بالتالي، معايير النقد الفكري الخالص؛ وانما هو قائد سياسي، وفكره لا ينسب اليه وحده، وانما هو يبلور موجات دائرة اوسع».

لقد مثل عبدالناصر ظاهرة فريدة في التاريخ العربي. اذ حاول ان يجمع بين القائد القومي والزعيم الشعبي للامة العربية، وبين رجل السياسة والسلطة. وقد وفق في جانب، وفشل في جانب آخر. ويمكننا القول انه منذ وفاة عبدالناصر والحركة القومية العربية تسير من انحطاط الى آخر، والامة العربية تبحث عن الزعيم الرمز الذي يقودها نحو اهدافها في الحرية والوحدة وتحرير فلسطين.

لقد تعاملت الحركة القومية العربية، اذاً، وبكامل فصائلها، مع العمل الفدائي. تبنته فكراً ودعمته ممارسة، بتحفظ في بداية الانطلاقة، ولكن الملاحظ ان كيفية تعامل الانظمة القومية ـ مصر الناصرية، وانظمة البعث ـ اختلفت عن تعامل حركة القوميين العرب مع العمل الفدائي وحرب التحرير الشعبية. فبينما تحول جزء اساسي من هذه الاخيرة الى تنظيمات فدائية مقاتلة: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وكانت استراتيجية الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية تشكل النهج الاساسي في استراتيجيتها وتعاملها مع العدو الصهيوني، نجد ان قبول الانظمة بالعمل الفدائي كان يدخل ضمن العمل التكتيكي، مجاراة للتيار وتغطية للعجز. ولم تكن حرب التحرير الشعبية هي استراتيجيتها في العمل، وهذا ما وضح، جلياً، في مواقفها الحذرة من الثورة الفلسطينية، والقيود التي فرضت على تحرك المقاتلين الفلسطينيين، واغلاق الحدود في وجه العمل الفدائي، وذلك ان منطق حرب التحرير الشعبية يفترض مشاركة جماهيرية عربية واسعة في هذه الحرب، ويعني ان يتحول اقتصاد البلاد، وسياستها، الى نبع لمد المقاتلين بالامكانات التي تؤهلهم لمواصلة هذه الحرب؛ او بصورة ادق، ان تسخر الدول المحيطة باسرائيل كل الامكانات لمواصلة هذه الحرب، والاهم من ذلك ان تكون حالة الحرب والاشتباك المسلح هي السائدة على الحدود مع فلسطين المحتلة؛ وشتان بين حرب التحرير الشعبية الحقيقية وبين الواقع العربي السائد، والذي هو ابعد ما يكون عن الفهم الحقيقي لهذه الحرب، وبالاحرى عن ممارستها.

الحركة القومية العربية الى اين؟

بعد استعراضنا لمواقف وافكار الحركات القومية الثلاث من القضية الفلسطينية،